النظر المقابلة ، وسماع الملاحظات ونقلها الى المعسكر الاخر . مطبقا خلال هذه الرحلات أسلوبه الخاص في معالجة الازمات . وكان يبدي في كل مرة وبعد كل لقاء مزيدا من التفاؤل بامكانية التقدم في حل الازمة ، دون ان يصل به التفاؤل الى التصريح بامكانية التوصل الى توقيع اتفاق فصل بين القوات . حتى ان موظفا كبيرا من مرافقي وزير الخارجية الاميركي ذكر في القاهرة ، في يوم ٥/٩ « ان المفاوضات التي يجريها الدكتور كيسنجر الان هي اكثر صعوبة ومشقة من المفاوضات التي أنهت حرب فيتنام » .

ولم يترك السوفييت كيسنجر وحده في المنطقة ، فلقد حضر وزير الخارجية السوفييتي اندريه غروميكو الى دمشق ، ومكث فيها يومي ٥ و ٦ ايار ، وأجرى مع الزعماء السوريين مباحثات مطولة ، صدر على أثرها بيان سوفييتي — سوري يؤكد في احدى فقراته « ان عملية الفصل بين القوات يجب ان تعتبر خطوة نحو تحقيق الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة ونحو التوصل الى الحل الشامل والعادل لمشكلة الشرق الاوسط » . وفي السابع من ايار اجتمع وزيرا خارجية الدولتين الاعظمين في قبرص ، وتباحثا في عدد من المسائل المتعلقة بالعلاقات السوفييتية — الاميركية ، كما تباحثا في فصل القوات على جبهة الجولان ، واحلال السلام في الشرق الاوسط . وصدر بعد اجتماعهما بيان مشترك يعتبر ان فك الالتحام في جبهة الجولان هو « جزء من القضية العامة لمسألة تحقيق تسوية في الشرق الاوسط » ، ثم غادر غروميكو قبرص عائدا الى بلاده . وكانت عودته دليلا على ان السوفييت أعادوا طرح تصوراتهم حول الخطوط الرئيسية لحل الازمة ، ثم اخذوا موقف المراقب الحذر المستعد للتدخل في كل لحظة ، وتركوا لوزير الخارجية الاميركي الفرصة ليحاول من جديد في سبيل التوصل الى مخرج يرضى به الطرفان .

ولقد كثرت الانباء حول الاقتراحات، والاقتراحات المعاكسة ، والتعديلات ونقاط اللقاء ونقاط الخلاف بين وجهتي النظر السورية والاسرائيلية . ومن الواضح ان السوريين أبدوا خلال المفاوضات حنكة ودراية سياسيتين ، وتمسكوا بموقفهم المبدئي المنسجم مع قرارات مجلس الامن ، على حين كان الاسرائيليون يفاوضون من موقع ضعيف بعد ان تكلس موقفهم السياسي بحكم اوضاعهم الداخلية والوضع العالمي ، وفقدوا حرية المناورة السياسية ، وأصبحت سياستهم التوسعية المبنية على العدوان والضم مرفوضة في العالم كله ، وعاملا يهدد بتصادم المصالح الاميركية والاسرائيلية. وكانت الدلائل تشير الى ان كيسنجر استطاع التوصل الى نقاط لقاء حول الافكار العامة المتعلقة بانسحاب اسرائيل الى ما وراء الخط البنفسجي ، وخلق منطقة عازلة تفصل بين الطرفين ، وتحتلها قوات دولية (يعتبرها السوريون مراقبين دوليين على حين يعتبرها الاسرائيليون قوات طوارىء دولية) ، وتخفيض حجم القوات على جانبي المنطقة العازلة ، وعودة سكان المناطق التي يتم الانسحاب منها الى اراضيهم . وتمسك السوريون بضرورة اعتبار الانسحاب الاولي لفصل القوات مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل ، على حين اعتبر الاسرائيليون ان هذا الانسحاب هو التنازل الاخير الذي يستطيعون تقديمه دون ان يعرضوا أمنهم للخطر .

ثم ظهرت المشكلة الرئيسية عندما انتقلت المباحثات من الافكار العامة الى التطبيق العملي على الارض . وكان الخلاف يدور حول تحديد خط الفصل . فلقد رأى الاسرائيليون ان الحفاظ على وضع استراتيجي سليم ، وضمان امن مستوطناتهم في الجولان لا يتحقق الا اذا احتفظوا بالتلال الثلاثة المحيطة بمدينة القنيطرة ، على حين اعتبر السوريون ان استرجاع القنيطرة دون العودة الى المرتفعات سيجعل خط الفصل متعرجا ، ويجعل القنيطرة المحررة جيبا صغيرا تسيطر عليه المرتفعات من ثلاث جهات (الشمال والجنوب والغرب) .

والحقيقة ان طبيعة الارض في هضبة الجولان تعطي المرتفعات الثلاثة اهمية بالغة ، ولا تؤمن لمن يسيطر عليها تفوقا تكتيكيا فحسب ، بل تمنحه تفوقا استراتيجيا حاسما . ذلك لان السطح المستوي لهضبة الجولان ينقطع فجأة عند هذه المرتفعات ويبدأ بعدها بالانحدار غربا باتجاه سهل الحولة . وتشكل مدينة القنيطرة والارض المحيطة بها امتدادا (على شكل لسان) لسطح الهضبة المنبسط . وهو لسان تحيط به ثلاثة مرتفعات يبدأ بعدها السفح المعاكس لهضبة الجولان . لذا فان وجود القوات الاسرائيلية على خط المرتفعات